التطور التاريخي للمجتمع الدولي

يرتبط المجتمع الدولي ارتباط وثيقا بالعلاقات الدولية و قواعد القانون الدولي العام الذي يعد القانون الواجب التطبيق على أشخاص المجتمع الدولي، و الذي خضع منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وتأسيس منظمة الأمم المتحدة الى تنظيم محكم تم تجسيده من خلال ترسانة من النصوص القانونية الاتفاقية ذات الطبيعة الدولية التي ساهمت الى حد كبير في ترشيد العلاقات الدولية و تنظيمها و تهذيبها بعد أن كانت تسودها الفوضى و النزاعات المختلفة.

أولا: مرحلة العصور القديمة

عرفت مختلف الحضارات القديمة وجود علاقات متعددة في مختلف المجالات، الا أنها لم تكن منظمة بالشكل الذي يؤدي بنا إلى القول بوجود مجتمع دولي حقيقي، يرى أغلب المؤرخين أن مرحلة العصور القديمة تمتد من سنة 3100 ق.م وإلى غاية 476 م .

فلم تعرف هذه الفترة وجود مجتمع دولي بالمعنى الدقيق، حيث غلب فيها تنظيم بسيط وبنوع من المحدودية[1]، و يرجع ذلك الى العزلة النسبية التي كانت تعيش في ظلها الحضارات التي قامت في هذه الفترة بسبب صعوبة المواصلات وجهل كل حضارة أحيانا بواقعة وبوجود الأخرى، مما أدى إلى قلة التبادل التجاري والثقافي والفكري، اضافة الى غياب عنصر المصالح المشتركة فيما بينها حيث مصلحة مشتركة تبرر ارتباطها بغيرها من الحضارات ارتباطا دائما تنظمه قواعد ملزمة

1/ حضارة ما بين النهرين

أطلق عليها حضارة بابل أو حضارة بلاد الرافدين، حيث كانت تتمركز دولة دولة قوية ذات نفوذ و قوة و حضارة، تجاورها مجموعة من القبائل التي تدين لها بالولاء، أخرى تخضع لها بمنطق القوة و السيطرة و الحروب.

شهدت هذه الحضارة ابرام معاهدة دولية حوالي 3100 ق م بين (Enactus) الحاكم المنتصر لدولة مدينة (Legash) مع ممثلي شعب (Umma)، حررت هذه المعاهدة باللغة السومرية، نصت هذه

المعاهدة على حرمة الحدود بمعنى وجوب احترام الحدود بين الدولتين، و اعتراف شعب هذه الأخيرة بها و العمل على حل النزاعات الدولية فيما بينهم من خلال اللجوء الى التحكيم

2/ الحضارة المصرية القديمة

لقد عرفت مصر الفرعونية علاقات دولية ودبلوماسية عديدة مع غيرها من دول العالم آنذاك، كما هو الأمر مع الصومال القديمة(بلاد بونت)، وجزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط، وكذا مع قبل الميلاد، وكانت هذه – الحضارتين الأشورية والبابلية بالعراق في الفترة الممتدة بين 3500– 3000 ق.م

3/ حضارة الصين القديمة

لقد ظهرت كتابات عديدة ذات طابع علمي حول العلاقات الدولية عموما والعلاقات الدبلوماسية على وجه الخصوص، تبحث في الوسائل لبلوغ أهداف محددة وفي أوضاع معينة، كان الغرض منها نصح وإرشاد الأباطرة والملوك الامراء في قيادتهم لعلاقاتهم الدبلوماسية والدولية، فنجد ذلك مثلا عند الفيلسوف الصيني كونفوشيوس في القرن الرابع قبل الميلاد الذي أقام نظرية عامة للعلاقات الاجتماعية على المستوى العالمي ، حيث يرى أن النية الأساسية المشتركة بين الجميع تستند على المصلحة العامة الاجتماعية التي تتطلب أن تكون تصرفات الانسان تتماشى مع نظام الطبيعة

4/ حضارة الهند القديمة

عرفت الحضارة الهندية بقانون مانو سنة 1000 ق.م، و الذي تطرق إلى بعض الجوانب المتعلق بقانون الحرب أو القانون الدولي الإنساني كما نسميه اليوم والقانون الدبلوماسي[2]، وضع هذا القانون مجموعة من الالتزامات منها تحريم قطع الأشجار واوجب على المحارب ألا يقتل عدوا استسلم ولا أسيرا حرب ولا عدوا نائما أو أعزل و لا شخصا مسالما غير محارب ولا عدوا مشتكيا مع خصم.

5/ الحضارة اليونانية

لقد عرف العهد الإغريقي هو الآخر–ظهور بعض القواعد التي تطبق في السلم وتطبق في الحرب، حيث عرف اليونانيون التحكيم لحسم الخلافات التي تقوم بين المدن اليونانية.

---

[2]– عبد الجبار عبد الوهاب سلطان الجبوري، حقوق الانسان بين النصوص و النسيان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2015، ص ص 149،150.

كما عرفوا القواعد التنظيمية مثل قواعد الحرب والتي منها وجوب إعلان الحرب قبل الدخول فيها، قاعدة تبادل الأسرى احترام اللاجئين، وحماية الأجنبي وأمواله وحريته التجارية غير أن هذه القواعد كانت خاصة بالمدن اليونانية فقط، ويمكن الاستشهاد على ذلك بما قاله الفيلسوف اليوناني أرسطو في كتابه "السياسة "

من "أن المدن اليونانية لها الحق بأن تتقدم معا لفتح أ ا رضي الشعوب البربرية وهذا الحق يصبح واجبا بمجرد أن يصبح مستندا إلى قوة عسكرية تعطي الأمل بالنصر

6/ الحضارة الرومانية

كان القانون المدني الروماني لا يطبق إلا على الرومان دون غيرهم وجود نوع من المجتمعات الدولية سبقت نشوء المجتمع الدولي المعاصر. رغم أن العلاقات الدولية آنذاك كانت محدودة جغرافيا وموضوعيا ورغم هذا وجدت عناصر مشتركة بين هذه المجتمعات يمكن تلخيصها في ما يلي:

1- الاعتراف بوجود كيانات سياسية متمايزة تتمتع بشخصيات معنوية مستقلة.

2- الاعتراف بإمكانية تمثيل هذه الكيانات لدى بعضها البعض من قبل ممثلين معتمدين دائمين أو مؤقتين.

ثانيا: المجتمع الدولي في العصور الوسطى

يتفق أغلب المؤرخون على ان العصر الوسيط يبدأ بسقوط روما سنة 476م و ينتهي بسقوط القسطنطينية سنة 1453 على يد محمد الفاتح العثماني، و قد كانت هناك علاقات دولية سادت المجتمع المسيحي و حتى الاسلامي حيث ظهرت احكام ذات طابع دولي نظمتها الشريعة الاسلامية و نظمتها